معالم الشخصية الإيجابية للدعاة من غير الأنبياء في القرآن الكريم

*عبد الرحيم خير الله عمر الشريف**

ملخص

يميل كثير من الدعاة المصلحين في عصرنا الحالي إلى الدعة والسكون والسلبية وعدم الاكتراث لما يدور حولهم من أحداث، ولا يتفاعلون معها، ومن هنا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على قدوات ذكرها القرآن الكريم في معرض الثناء عليها، قدوات لم تكن من الأنبياء المسددين بالوحي، المؤيدين بالعصمة، ولكنهم مع ذلك كانت لهم بصمتهم الدعوية الإيجابية.

لذا جاء هذا البحث الذي يتألف من مبحثين: الأول: نظري تحدث فيه عن تعريف الإيجابية الدعوية وبيان أهميتها، ثم مبحث عملي تناول التعريف بأبرز معالم شخصية الدعاة الإيجابية كما عرضها القرآن الكريم.

وفي نهايته خاتمة لخصَتْ أبرز تلك المعالم.

الكلمات الدالة: الإيجابية، القصص القرآني، القرآن الكريم، الدعاة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد...

فهذا بحث يهدف إلى تسليط الضوء على معالم الشخصية الإيجابية للدعاة من غير الأنبياء كما عرضها القرآن الكريم.

مشكلة البحث

سيجيب البحث– بإذن الله– عن الأسئلة التالية:

1. ما سبب عناية القرآن الكريم بسرد قصص لدعاة من غير الأنبياء؟
2. من هم أبرز الدعاة من غير الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم؟
3. ما أبرز معالم الشخصية الإجابية للدعاة من غير الأنبياء كما عرضها القرآن الكريم؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

1. التعريف بأبرز الدعاة من غير الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم.
2. بيان أبرز معالم شخصيتهم الإيجابية وتحليلها.
3. أن يقتدي الدعاة المعاصرون من قصص أولئك الدعاة.

الدراسات السابقة

تناولت كثير من الدراسات المعالم الشخصية للدعاة في القرآن الكريم، أو الشخصية الإيجابية كما عرضها القرآن الكريم– بشكل عام– ومن تلك الدراسات: رسالة ماجستير بعنوان: "الإيجابية في الخطاب القرآني" من إعداد محمد البرطماني وبإشراف أ.د. زياد الدغامين، وتقع الرسالة في (200) صفحة تناولت التوسع في دلالة الإيجابية ووسائل تعزيز الفكر الإيجابي في الخطاب القرآني، ومعززات الإيجابية السلوكية ومعوقاتها. والإضافة التي أضافها البحث على تلك الرسالة تتبع من استنباط معالم الشخصية الدعوية للدعاة في القرآن الكريم والتوسع في ضرب الأمثلة التوضيحية من القصص القرآني.

وهناك إشارات أخرى إلى الموضوع تطرق إليها الباحثون أثناء تفسيرهم للآيات المتعلقة بأولئك الدعاة، أو تحليل القصص القرآني واستنباط الدروس والعبر منها، منها رسالة ماجستير بعنوان: الدعاة من غير الأنبياء في القرآن، دراسة موضوعية. للباحث عقيل بن سالم بن عقيل الشمري نوقشت في قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود سنة (1429هـ) تناول فيها الباحث لطائف دعوية لقصص الدعاة من غير الأنبياء في القرآن الكريم، ثم استنبط منها صفات الدعاة من غير الأنبياء في القرآن الكريم.

ومنها أيضاً سلسلة مع قصص السابقين للقرآن للدكتور

---

* كلية الشريعة، جامعة الزرقاء. تاريخ استلام البحث 2016/5/28، وتاريخ قبوله 2016/8/23.

صلاح الخالدي، وتقع السلسلة في ثلاثة أجزاء تناولت قصص الأنبياء والدعاة السابقين كما عرضها القرآن الكريم مع عرض موجز لسيرة حياتهم وأبرز العبر والدروس المستفادة من قصصهم، وتتفق هذه الدراسة مع تلك الدراسات في تناول جزء من سيرة أولئك الدعاة وبيان مَواطن الآيات الكريمة التتي تحدثت عنهم وبعض الدروس المستفادة من قصصهم، ولكنها تختلف عنها بعدم التوسع في ذكر سيرتهم وتفاصيل قصصهم.

وجميعها تختلف عما ورد في هذه الدراسة من جهة أن هذه الدراسة قامت بتخصيص البحث حول أبرز معالم الشخصية الإيجابية لأولئك الدعاة، كما ذكرت نماذج عرضها القرآن الكريم لم تخصصها الدراسات السابقة ببحث معمَّق.

محددات البحث

يختص هذا البحث بعرض أبرز معالم الشخصية الإيجابية للدعاة إلى الخير السابقين من الأمم الماضية كما وردت في القرآن الكريم. مقتصراً على التعريف بأبرز سمة شخصية للدعاة مستنبطة من كل قصة من قصص الدعاة– من غير الأنبياء– في القرآن الكريم، وستقتصر الدراسة على الدعاة من أتباع الأنبياء السابقين، لذا سيخرج منها الدعاة من أتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما سيخرج منها بعض الصالحين من أتباع الأنبياء السابقين الذين لم يُصرِّح القرآن الكريم بممارستهم للدعوة كامرأة فرعون والمؤمنين من سحرة فرعون ومريم، وكذلك لن تتناول دراسة الدعاة الذين لم يذكرهم القرآن الكريم صراحة وجاء تفصيل قصصهم في السنة كالفتى في قصة أصحاب الأخدود التي ذكرتها سورة البروج.

منهج البحث في هذه الدراسة

قام الباحث باستخدام المنهج الوصفي لتعريف المفردات والتراكيب، ثم المنهج الاستقرائي لحصر الآيات القرآنية التي تحدثت عن الدعاة من غير الأنبياء، ثم المنهج التحليلي الاستنباطي لاستنباط أبرز معالم الشخصية الإيجابية لأولئك الدعاة.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة يليها مبحثان، في المبحث الأول: وفيه التعريف بالشخصية الإيجابية الدعوية وبيان أهميتها، وفي المبحث الثاني: نماذج من الدعاة غير الأنبياء ومعالم شخصياتهم، ثم الخاتمة التي تحتوي على نتيجة البحث وتوصياته، بحسب التفصيل التالي:

توطئة

غرس الحكيم الخبير جل جلاله في الناس حب النجاح والتنافس فيما بينهم للرقي إلى أعلى مراتبه، ولا بد وأن نجاح الإنسان في جانب من الجوانب سيؤثر على نجاحه في جوانب أخرى من حياته، فمثلاً: التاجر الناجح في علاقاته الاجتماعية سيكون غالباً ناجحاً على صعيد تكوين علاقات اقتصادية ناجحة.. وهكذا ستجده ينطلق من نجاح إلى نجاح، فالنجاح الشامل ما هو إلا حصيلة نجاحات فرعية تآلفت فيما بينها، كسحابة خير ممطرة تآلفت فيها قطرات متجمعة.

ومن أبرز أسباب النجاح التي حث القرآن الكريم على تحلي الإنسان بها هي ضرورة تحليه بشخصية إيجابية مبادِرة، تنهض بأعباء الهدف الأسمى الذي خلقه الله تعالى من أجله وهو عمارة الكون بطاعة الله تعالى.

لقد ضرب القرآن مثلًا للفرق بين الشخصية الإيجابية والأخرى السلبية، وذلك في العهد المكي عهد إعداد القادة العظام الذين سيحملون لواء الدعوة إلى الخير، عهد التربية على العقيدة والمثل العليا.

فقال: "وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" [النحل: 76].

والمقصود بـ (الأبكم) في الآية: السلبي العاجز الذي هو حمل زائد على المجتمع، فإذا طلبت منه شيئًا لا يفعله.[1] والمقصود بـ (مَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ): الذي يصلح في الأرض[2]. أتحب أن تقف بين يدي الله يوم القيامة أبكم سلبيًا؟ كن إيجابيًا في حياتك العملية. كوني إيجابية مع زوجك وأولادك. كن إيجابيًا مع الله. كن إيجابيًا في إصلاح الناس.

هكذا يريد الإسلام من الإنسان بشكل عام– والداعية من باب أولى– أن يكون شخصية إيجابية حاضرة لا شخصية الكَلِّ على مولاه، فما المقصود بالشخصية الإيجابية ومن هم الدعاة، وما أبرز معالم الشخصية الدعوية الإيجابية كما تمثلت في الدعاة من غير الأنبياء؟ هذا ما سيتبين في المباحث الآتية.

المبحث الأول
تعريف الشخصية الإيجابية الدعوية

سيتناول هذا المبحث تعريف كل من الشخصية الإيجابية والدعاة بحسب التفصيل الوارد في المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: تعريف الشخصية الإيجابية وبيان أبرز أركانها

الإيجابية هي مصدر صناعي للجذر (وجب) بمعنى: الثبات واللزوم. وأوجب الشيء: أي جعله لِزاماً وثابتاً[3].

ومن معانيه: التحرك بعد الفزع، تقول العرب: وجَبَ القلبُ يَجِبُ وَجيباً أي: تحرَّكَ مِن فزَعٍ[4].

والموجِّب من الدوابِّ: الذي يفزع من كل شيء، والوَجبُ: الجبان[5].

ويمكن الجمع بينها بأن الوجوب هنا بمعنى: لزومٌ الراحة والسكون بعد حركة نتجت عن فزعٍ، وكأن للإيجابية أركان ثلاثة: فزعٌ في النفس ثم حركة قوية ثم لزومٌ وثبات.

وبهذا يمكن تفسير الوجوب الذي ورد في قوله تعالى: "فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْها" [الحج: 36]، بأنها ثبتت ولزمت الأرض وسكنت بعد اضطراب بدنها بعد ذبحها.

ثم تطوَّر المعنى اللغوي من الثبوت إلى الإثبات فإيجاب الشيء: أي إثباته[6]. وكأن الواجب هو كل ما سقطَ علينا ولزِمَنا[7]. ثم تطوّر المعنى فصار الإيجابي هو ما كان ضد السلبي من الأمور الثابتة المحققة[8].

وبهذا أضحى الشخص الإيجابي هو ذاك الشخص "الذي لا يكتفي بما عليه من واجب يؤديه، إنما يسعى دائماً إلى الجديد المتفن من العمل، مستخدماً خدمة العمل والجمهور"[9].

إنه ذاك الشخص "الذي يربط وجوده بمجتمعه ولا تعزله عنه أنانية أو ذاتية خاصة تحجب إمكانيته أو تبعده عن أداء ما يوكل إليه القيام به من خدمة مجتمعه"[10].

إن الشخص الإيجابي إنسان حي فعَّال متطور، متحرك لا تهدأ حركته، تأمل مثلاً حادثة هجرة رسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة: "والذي نريد أن يكون واضحاً أن الهجرة حركة إيجابية ضخمة، واستبدال لمواقع الدعوة ووسائل الداعية... الهدف من الهجرة هدف استراتيجي، يعني أول ما يعني: الانتقال من مكان يبدو أنه مصاب بالعقم والقحط، إلى مكان أكثر عطاءً وخصباً. فالرسول القدوة ﷺ لم يترفع عن قومه، ولم ينسحب من مهمته.. بل كان دائب النظر والتبصر في محاولة أن يلمح آفاقاً جديدة للدعوة فيرتادها، ويلجأ إلى وسائل جديدة في العمل فيختارها، وأساليب جديدة يتعامل معها"[11].

ومن هنا يرى الباحث أن المقصود بالشخصية الإيجابية: هي تلك الشخصية التي تعمل بدرجة عالية من الفعالية الفكرية والشعورية والنفسية، فتترتب عليها وضعية حسنة من الطمأنينة والارتياح، إلى جانب وضعية جيدة من الالتزام والإنتاجية الممتازة؛ بالإضافة إلى نجاح جيد في العلاقات الاجتماعية[12].

ولتلك الشخصية ركنين أساسين: الاستقامة والفاعلية. ومن هذين الركنين تتكون الشخصية الإيجابية[13].

وأولى الناس بوجوب التحلي بالإيجابية هو الداعية إلى الخير؛ لأنه أمل الناس في الوقاية من كل شر، وطبيبهم المعالج من كل آفة، فمن هو الداعية، وما أهمية وجوده في المجتمع؟ هذا ما سيتبين في المطلب التالي.

المطلب الثاني: تعريف الداعية وبيان أهميته في المجتمع

أولاً: تعريف الدعوة:

الدعوة: مصدر من الفعل الثلاثي: دعا.

وللدعوة في اللغة عدة معان تدل على الطلب أو النداء أو الدعاء أو الاستمالة.. ويدل على كثرة معاني الدعوة ما ذكره صاحب لسان العرب من معان للفعل (دعا) وما اشتق منه، حيث ذكر ذلك في خمس صفحات[14].

"والدال والعين والحرف المعتل أصل واحد معناه: أن تميل الشيء إليك، بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت، أدعو، دعاءً"[15].

فـ "الدعوة إلى الشيء: الحث على قصده، دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه"[16].

وأما الدعوة اصطلاحاً:

عُني الذين كتبوا في الدعوة في عصرنا الحالي بتعريف الدعوة، وبخاصة بعدما أصبحت عِلماً مستقلاً كعلوم التفسير والعقيدة والحديث، فامتلأت المكتبات بالكتب التي تُعنى بالدعوة وتقنينها، كنتيجة لهذه الصحوة الإسلامية المباركة المنتشرة في بلاد المسلمين.

ونظراً لكثرة هذه الكتب التي تتحدث عن الدعوة، ظهرت عدة تعريفات معاصرة للدعوة. وقد جمع حمد العمار سبعة عشر تعريفاً للدعوة ذكرها بعض الذين كتبوا في الدعوة، منها:

1. إنقاذ الناس من ضلال أو شر وقع بهم، وتحذيرهم من أمر يُخشى عليهم الوقوع في بأسه.
2. حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل.
3. صرف أنظار الناس وعقولهم إلى فكرة أو عقيدة وحثهم عليها.
4. عملية إحياء لنظام ما، لتنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط.
5. فن يبحث في الكيفيات المناسبة التي نجذب بها الآخرين إلى الإسلام.
6. إبلاغ الناس دعوة الإسلام، بالأساليب والوسائل التي تناسب أحوال المدعوين.

ثم ذكر حمد العمار أن هذه التعاريف لا منافاة بينها، فليست من باب اختلاف التضاد ولكنها من اختلاف التنوع،

فكل تعريف للدعوة من هذه التعاريف عُني بجانب من جوانب الدعوة وركز عليه[17].

وكلام العمار فيه نظر؛ فالتعريفات الأول والثاني والسادس تعريفات للدعوة الإسلامية خصوصاً، والتعريفات الثالث والرابع تعريفات لمفهوم الدعوة عموماً تصلح للدعوة الإسلامية وغيرها، وتلتقي بهذا مع التعريف الخامس.

كما يختص الخامس بأنه تعريف لفن الدعوة، وأما الثالث والرابع فيعرفانها بمضمونها أو الأمر المدعو إليه.

ووجد الباحث عند محمد البيانوني تعريفاً جامعاً مانعاً للدعوة– يلتقي مع التعريفين: الأول والثاني إلى حد ما، وهو: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"[18].

وبذا فإن المقصود بالداعية في هذا البحث: كلُّ مَن يحرص على أن يُبلغ الخير للناس، والذي يُعلمهم إياه، وينشط في العمل على تطبيقه في واقع الحياة.

ثانياً: حاجة الناس إلى الدعاة:

بيَّن الله ﷻ في محكم التنزيل، الحكمة من خلق الإنس والجن، وذلك في قوله تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" [الذاريات: 65].

وحتى تكون العبادة على الصورة الصحيحة التي يريدها الله تبارك وتعالى؛ أرسل الأنبياء إلى عباده، وطلب منهم أن يبلغوا عنه كيفية العبادة الصحيحة التي يطلبها خالقهم منهم.

وبما أن عقلَ الإنسان قاصر عن معرفة الأحكام التي يُصلح بها أحواله في الدنيا، وعاجز عن إصدار الحكم المناسب لما له فيه مصلحة ظاهرة، ويدفع به مفسدة واضحة، فإنك تجد القصور والعجز أشد وضوحاً في إدراك شيء من عالم الغيب، هذا الغيب الذي لا تصح العقيدة دون الإيمان به.

فلا بد من وجود أنبياء لتصح بهم العقيدة، وتَسلمَ العبادة، وتستقيم حياة الناس. ولا بد بعد الأنبياء من دعاة يدعون الناس إلى الحق والخير أينما وجدوا... حتى يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها؛ فالحاجة إلى الخطاب الدعوي ضرورة باقية ما بقيت الحاجة إلى الحياة نفسها، حتى لا تغرق سفينة المجتمع.

هذا ما يدل عليه حديث ما رواه النعمان بن بشير ؓ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا"[19].

وكان النعمان بن بشير ؓ إذا قرأ هذا الحديث على المنبر يقول: "خذوا على أيدي سفهائكم قبل أن تهلكوا"[20].

وإن وجود الدعاة إلى الخير في كل مجتمع أمان لهم من الهلاك، قال تعالى: "وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ" [هود: 117]" لذا فإن المصلحين في كل مجتمعٍ يُعَدون كصمام أمان للمجتمعات من الانحِراف المؤذِن بزوالهم وهلاكهم.

وقد اشتملت قصص القرآن الكريم على كثير من الأمثلة لأولئك الدعاة كما سيتبين في المبحث التالي.

المبحث الثاني
نماذج من الدعاة غير الأنبياء ومعالم شخصياتهم

قص القرآن الكريم قصصاً لمختلف أصناف الإيجابيين من الدعاة إلى الخير، من البشر المصلحين بل وحتى الحيوانات والحشرات. فبماذا تميزت هذه القصص؟ وما أبرز معالم الشخصية الإيجابية التي يمكن استنباطها من تلك القصص؟

هذا ما سيتبين في المطلبين التاليين.

المطلب الأول: خصائص قصص الدعاة من غير الأنبياء في القرآن الكريم

قصص القرآن الكريم هي "أَحْسَنَ الْقَصَصِ" [يوسف: 3]؛ لأنها ربانية المصدر، فهي الأصدق والأظهر لمكامن شخصيات أبطالها، والأجمل تصويراً فنياً، وجمالاً بيانياً... كما تتميز عن قصص البشر بمميزات، منها[21]:

1. أنها تقتصر على مَوضع العبرة من القصة، ولا تذكر تفاصيل لا يُستفاد منها للعبرة والفائدة.
2. تفاوت قصص الشخصيات الواردة فيها من حيث طول سرد الأحداث والتفصيلات بين قصيرة ومتوسطة ومطولة.
3. صلاحيتها لاستنباط الأحكام الشرعية وتلمس الدروس والعبر منها.
4. وضع القصة في إطار ديني، تنفذ معه أشعة روحية تنغرس بلطف في النفوس، مما يكون له أعمق الأثر في بيان العبرة الأخلاقية والتربوية التي من أجلها أنزل الله القصة.
5. الشمولية لمختلف ما يحتاجه الإنسان في معاشه ومعاده بمختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسننية الكونية والمقاصدية.
6. إمكانية الاقتداء بالصالحين من أبطال القصة؛ فهي قصص واقعية لا أسطورية خيالية.

وبالاستقراء والتتبع تبيَّنَ بأن قصص الدعاة من غير الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم تتميز (إضافة إلى تلك المميزات) بمميزات، منها:

1. عدم تكرار قصصهم، والاقتصار على ذكرها في موضع واحد في سورة واحدة.
2. إغفال أسماء أولئك الدعاة (باستثناء لقمان).
3. كان الأنبياء ممن اصطفى الله من رجال الإنس حصراً، ولكن القصص القرآني أخبرنا بوجود دعاة إلى الخير من غير جنس البشر كالهدهد والنملة؛ ليقول لنا بأن الإيجابية في الدعوة إلى الخير سنة كونية لكل كائن حي لا يشذ عنها إلا الحمقى ومتبعي الشهوات.
4. لا تحتوي تلك القصص على أدلة تثبت نزول تأييد إلهي مادي لنصرة أولئك الدعاة.

وبتأمل تلك المميزات يستطيع المرء استنباط الحكمة الرئيسة من ذكر قصص الدعاة من غير الأنبياء، وهي مخاطبة الدعاة في كل زمان ومكان بأنه بإمكانك أن تكون إيجابياً– كسلفك من أولئك الدعاة– الذين لم يكونوا من الأنبياء المؤيَّدين بالوحي الإلهي المعجز.

وبشكل عام، فإن القصص القرآني يعين الدعاة على تثبيت فؤادهم على الحق، كما يقدم لهم معارف سننية في التعامل مع الكون والحياة؛ فيمنحهم الوعي والبصيرة فيسدد مسيرتهم الدعوية، ويشحذ هممهم، ويسمو بنفوسهم، ويرفع من معنوياتهم.

وفي الجدول (1) تعريف بأبرز الدعاة إلى الخير– من غير الأنبياء – بحسب ترتيب ذكرهم في القرآن الكريم.

الجدول (1)
أبرز مواضع القرآن الكريم التي تحدثت عن قصص لدعاة إلى الخير من غير الأنبياء

القصة	السورة	الآيات
1. القائد الداعية طالوت	البقرة	250-247
2. الدعاة في قصة أصحاب السبت	الأعراف	166-163
3. الفتية (أصحاب الكهف)	الكهف	22-9
4. الداعية مع صاحب الجنتين	الكهف	44-32
5. العبد الصالح في رحلته مع سيدنا موسى عليه السلام	الكهف	80-60
6. ذو القرنين	الكهف	99-83
7. النملة	النمل	19-17
8. الهدهد	النمل	28-20
9. الرجل الذي سعى لتحذير سيدنا موسى عليه السلام	القصص	20
10. الدعاة في قصة قارون	القصص	82-78
11. لقمان الحكيم	لقمان	19-12
12. الرجل الداعية في سورة يس	يس	28-20
13. مؤمن آل فرعون	غافر	35-28

فما أبرز معالم الشخصية الإيجابية لأولئك الدعاة إلى الخير؟ هذا ما سيتبين في المطلب التالي.

المطلب الثاني: أبرز معالم الإيجابية في شخصية الدعاة الدعاة إلى الخير

سيذكر الباحث في هذا المطلب واحداً من أبرز معالم قصص الدعاة إلى الخير بحسب ترتيب ورود القصة في القرآن الكريم.

أولاً: إيجابية القائد الداعية طالوت

إن من عوامل الشخصية القيادية الإيجابية: الجمع بين قوتي العلم والجسم، قال تعالى: "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" [البقرة:247].

وجَّه النبيُّ بني إسرائيل إلى أن الشخصية القيادية التي تستحق الملك ليست الأكثر مالاً، بل إلى صفتين أهم من ذلك، فقد أوتي طالوت بسطة في العلم والجسم، وهذان عنصران مهمان في تكوين الشخصية الإيجابية؛ لأن الشخصية الإيجابية غالباً ما تكون قيادية، ومن النادر أن يُقبل الناس على التأثر بشخص يجمع بين ضعف الجسم والعلم؛ لذا جاءت الآية الكريمة لتصحيح مفاهيم الناس.

لقد "فضّله واختاره عليكم بما أودع فيه من الاستعداد الفطري للملك، ولا ينافي هذا كون اختياره كان بوحي من الله؛ لأن هذه الأمور هي بيان لأسباب الاختيار وهي أربعة: (1) الاستعداد الفطري (2) السعة في العلم الذي يكون به التدبير

(3) بسطة الجسم المعبر بها عن صحته وكمال قواه المستلزم ذلك لصحة الفكر على قاعدة ((العقل السليم في الجسم السليم)) وللشجاعة والقدرة على المدافعة وللهيبة والوقار (4) توفيق الله تعالى الأسباب له وهو ما يعبر عنه بقوله: "وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ"، والاستعداد هو الركن الأول في المرتبة فلذلك قدمه، والعلم بحال الأمة ومواضع قوتها وضعفها وجودة الفكر في تدبير شئونها، هو الركن الثاني في المرتبة، فكم من عالم بحال زمانه غير مستعد للسلطة اتخذه من هو مستعد لها سراجا يستضيء برأيه في تأسيس مملكة أو سياستها، ولم ينهض به رأيه إلى أن يكون هو السيد الزعيم فيها، وكمال الجسم في قواه ورِوائه هو الركن الثالث في المرتبة، وهو في الناس أكثر من سابقيه.

وأما المال فليس بركن من أركان تأسيس الملك؛ لأن المزايا الثلاث إذا وجدت سهل على صاحبها الإتيان بالمال، وإنا لنعرف في الناس من أسس دولة وهو فقير أمي [وخير مثال على ذلك سيد الخلق محمد ﷺ]، ولكن استعداده ومعرفته بحال الأمة التي سادها، وشجاعته كانت كافية للاستيلاء عليها والاستعانة بأهل العلم بالإدارة والشجعان على تمكين سلطته فيها، وقد قدم الأركان الثلاثة على الرابع؛ لأنها تتعلق بمواهب الرجل الذي اختير ملكا فأنكر القوم اختياره فهي المقصودة بالجواب، وأما توفيق الله تعالى بتسخير الأسباب التي لا عمل له فيها لسعيه فليس من مواهبه ومزاياه فتقدم في أسباب اختياره، وإنما تذكر تتمة للفائدة وبيانا للحقيقة؛ ولذلك ذكرت قاعدة عامة لا وصفا له"[22].

إن على الدعاة الإيجابيين الحرص على الجمع بين قوة البدن وقوة الفهم والعقل ليتحملوا أعباء الدعوة إلى الخير ويصبروا على تبعاتها.

ثانياً: إيجابية الدعاة في قصة أصحاب السبت

الداعية الإيجابي يمارس الدعوة في مختلف البيئات، وهدفه الرئيس: الإعذار إلى الله تعالى، فإن استجاب المدعوون فذلك حسن، وإن لم يستجيبوا لم يصب بالإحباط.

قال تعالى: "وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ، وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ" [الأعراف: 163-164].

لمن يسأل: هل من الحكمة الإصرار على دعوة أشخاص مُصرِّين على المعاصي الذين لا جدوى من مناصحتهم؟

فجواب أولئك الدعاة الإيجابيون: "لقد وعظناهم اعتذاراً الى الله، وأدّينا واجبنا نحوه، لئلا نُنسَب الى التقصير، ولعلّ النصح يؤثر في تلك القلوب العاصية فَيَسْتثيرُ فيها وِجدان التقوى"[23].

الإعذار إلى الله تعالى وطلب الأجر منه فقط، يشكلان دافعاً للداعية إلى الاستمرار بالتفاؤل والأمل مع عدم الالتفات إلى المُحبِطات ولا يغتر بتلبيس إبليس بالسقوط وفتور الهمة بداعي أنه لا فائدة من هدايتهم.

ثالثاً: إيجابية الفتية (أصحاب الكهف):

الداعية الإيجابي حكيم فطِنٌ ليس بأحمق ولا متهور، بل يجعل اللطف نبراساً له في مخاطبة المدعوية وسجية لا تضمحل مهما كانت الظروف، نعم هو مندفع لحث الناس على فعل الخير، ولكنه في الوقت ذاته لا يدع التلطف. قال تعالى: "وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا" [الكهف: 19].

فارفق بهم وكن متسامحاً معهم عند معاملتهم بالبيع والشراء؛ لئلا يكتشفوا بأنك من أولئك الذين فارقوا دينهم[24].

إنَّ جمال الغايات لا يُبرر قسوة الوسائل الموصلة إليها إنْ أمكن اللطف، فاللطف لا يكون في شيء إلا زانه.

رابعاً: إيجابية الداعية مع صاحب الجنتين

الداعية الإيجابي يقدم البديل: "وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا" [الكهف: 39].

فلا يقتصر عمل الداعية على وصف المنكر والتحذير منه، بل يقدم البديل الأصلح، إنه طبيبٌ يشخِّص سبب المرض، ثم يقترح العلاج له، ويدل على سبل الوقاية منه في المستقبل.

لذا يخبر ابن القيم عن آداب المفتي التي من أبرزها: أنه "إذا سأله المستفتي عن شيء فمنعه منه- وكانت حاجته تدعوه إليه- أن يدلَّه على ما هو عوض له منه، فيسد عليه باب المحظور، ويفتح له باب المباح، وهذا لا يتأتى إلَّا من عالمٍ ناصح مشفقٍ قد تاجرَ الله وعامَلَه بعِلمه"[25].

وعلى الدعاة المعاصرين أن يستنبطوا من ذلك أنه: "لا يمكن أن نعين الناس على الرجوع لالتزام دينهم وشرعتهم عبر الخطب المبكية التي تقطع القلوب، وتعصر النفوس من آلام ما تعانيه الأمة، والمواعظ التي تعتمد التحريم لكل شيء، والترهيب من كل أمر، والتحذير من كل ظاهرة تجتاح مجتمعات المسلمين... وإنما العلاج الحق أن نقدم لهم في كل أمر جاهلي، وفي كل ظاهرة... وعن كل ممارسة فاسدة فاسقة فاجرة، بديلاً إسلامياً صالحاً نافعاً راشداً مرضياً لله رب العالمين.

فالمعاملات الاقتصادية الربوية الحرام، لا يمكن أن تحارَب- أو تغيَّر- عبر الخطب والفتاوى المحرمة لها. وإنما إيجاد البدائل

لجميعها، فنغزو البنوك ونستبدلها ببنوك ومصارف إسلامية تحرم الربا ولا تتعامل معه..."[26].

الإسلام ليس بنظريات في الكتب لا يمكن تطبيقها في واقع الحياة، ولا تخلو تعاليمه وأحكامه مِن بديل شرعي منضبط مفيد للناس يجدون فيه خيراً من الفساد الذي يحرّمه ويمنع من اتخاذه سبيلاً، فلا يكتفي الداعية الذي يطلب من الناس ترك ذاك الفساد بالتحذير منه، بل عليه أن يدلهم على البديل الحلال.

خامساً: إيجابية العبد الصالح في رحلته مع سيدنا موسى (عليه السلام)

ليس من الإيجابية التحجُّر على رأيٍ قد يكون مآله ضاراً، فقد يضطر الداعية إلى ارتكاب منكر شديد؛ من أجل دفع خطر منكر أشد، وهذا ما يسمى: فقه الموازنات. قال تعالى: "أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا" [الكهف: 79].

إن "في هذا من الفقه العمل بالمصالح إذا تحقق وجهها، وجواز إصلاح كل المال بإفساد بعضه"[27].

فمن الحكمة التي يتحلى بها المصلح الإيجابي ارتكاب مفسدة صغرى- كإتلاف جزء من السفينة-، خشية مفسدة كبرى- مصادرة الملك الظالم للسفينة .

سادساً: إيجابية ذي القرنين

الإيجابي يعطي المدعوين أفضل مما يطلبون، قال تعالى: "قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا، قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا" [الكهف: 94-95].

وإن الداعية الإيجابي ليس بالشخص الكسول الذي يفرح بطلب الناس فعل اليسير الخفيف، بل همته العالية وتطلعه إلى الأجر الأخروي يحتمان عليه أن لا يرضى إلا بالمعالي.

وأنظر إلى ذي القرنين فقد طلبوا منه الأدنى لكنه أعطاهم الأعلى، هم طلبوا بناء سدٍّ ولكنهم اختار الأفضل لهم وهو الردم. والفرقُ أن السد ساتر بينك وبين شيء، بينما الردم وضع أشياء فوق بعضها بعضاً[28].

فسدُّ بئرٍ مهجورة مثلاً قد يكون بوضع قطعة خشب أو لوح حديد فوقها، أما ردمها فيكون بإلقاء التراب والحجارة فيها حتى تسوى بالأرض، وردمها أفضل، وإن كان أصعب.

لذا حين طلبوا وضع سد في الفجوة التي بينهم وبين يأجوج ومأجوج، اختار الأفضل وهو ردم الفجوة التي بين الجبال خشية أن ينهار السد، فالردم أفضل[29].

قال رسول الله ﷺ: "خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ"[30].

وهذا الحديث يعلّمنا بأن إيجابية الداعية تحثُّه على إعطاء المدعو أجود النصح، فهو ليست بمُلزمٍ- بالضرورة بإعطائه ما يطلبه إن وُجِدَ البديل الأفضل.

كما يُسفاد من قوله: "فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا، آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً" [الكهف: 96]، أن الداعية الإيجابي يستجلب أجود المدخلات المتاحة ويستثمرها؛ لتحقيق أفضل منتج ممكن.

فقسَّم الناس إلى أصناف يستثمرون الموارد المتاحة لديهم: صنف يأتون بزبر الحديد، وصنف يشاركون بإشعال النار بالنفخ، وصنف يأتي بالنحاس المذاب[31].

سابعاً: إيجابية النملة

الشخصية الإيجابية تحرص على مصلحة الجماعة لا مصلحتها الفردية، قال تعالى: "قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" [النمل: 18].

هنا نجد النملة قد أخذت وقتاً لتحذير النمل الآخرين، فلم تكن أنانية وتنجو بنفسها، هنا تعارضت مصلحتان: مصلحة النملة التي تعود عليها خاصة، مع المصلحة العامة لباقي النمل. فإن المصالح "إذا تزاحمَت قدِّم أهمها وأجلّها"[32].

الداعية الإيجابي ليس أنانياً ويدرك العقلاء من قومه تلك الصفة الطيبة فيه، فيلتفون من حوله ويُقبلون على إتباع نصائحه، وكأن هذه القصة تعطينا العبرة: من العار على الدعاة المصلحين أن يفكروا بأنانية وحرص على نفعهم الخاص، إذا تعارض مع مصلحة مجموع الأمة ونفعها.

ثامناً: إيجابية الهدهد

أهم ما يُميِّز الشخصية الإيجابية أنه لا يكتفي بالأعمال الروتينية المطلوبة منه، بل يُقدِم على الأحسن والأفضل ولو لم يطلب منه رئيسه ذاك الأمر.

هذا ما حدث بين الهدهد وسيدنا سليمان عليه السلام، قال تعالى: "وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ، فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ، أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ" [النمل: 20-25]

إنَّ "المرؤوس إنْ رأى خيراً يخدم الفكر العام، ووجد أن فرصته ضيقة: يُسمح له بالتصرف دون إذن"[33] مع التنبيه إلى

أن الداعية الإيجابي لا يستغل هذا الصنيع منه من أجل التسكُّع وتضييع الوقت، بل يعود سريعاً إلى مراجعه العليا ليخبرهم بمحصلة دافعيته (مبادرته الذاتية)، لذا فإنَّ مما نبهت عليه الآيات الكريمة:

معنى "فَمَكَثَ": أقام واستقر "غَيْرَ بَعِيدٍ": مدة يسيرة، فلم يتأخر كثيراً؛ لأنه يعلم أنه تخلّف عن مجلس سليمان، وذهب بدون إذنه؛ لذلك تعجَّل العودة، وما إنْ وصل إليه إلا وبادره. "فَقَالَ": بالفاء الدالة على التعقيب؛ لأنه رأى سليمان غاضباً مُتحفِّزاً لمعاقبته"[34].

وقد يخرج الشخص الإيجابي عن العمل الروتيني ليعمل بـ (روح القانون)– بل إنه يُمدَح على ذلك– ولكن ينبغي عليه أن يقدِّم لرئيسه في العمل تقريراً يشرح له فيه مبررات ذاك الخروج عن العمل الروتيني.

تاسعاً: إيجابية الرجل الذي سعى لتحذير سيدنا موسى عليه السلام

الدافعية (المُبادأة الذاتية)[35]: تُعَد الدافعية والإقبال إلى العمل بحماس وبهمة عالية– وبدون انتظار الأوامر ولا انتظار المحفزات المادية– العمود الفقري الذي يميز الشخص الإيجابي الفعّال، بمقابل الخامل الكسول الذي يشكل عبئاً على مجتمعه.

وهذا ما فعله ذاك الرجل الصالح الذي دعا سيدنا موسى عليه السلام لمغادرة مصر فوراً، "وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ" [القصص: 20].

فالدافعية هي المحرك النشط لسلوك الشخص المبادر إلى الدعوة للخير والتحذير من الشر؛ فهو لا ينتظر التحفيز، وغالباً ما تتميز شخصيته بالحزم وبروح المغامرة والميل إلى التجديد.

الجانب المفيد في تلك الشخصية الدعوية أنه ينقل الفكرة والخاطرة الذهنية المحبوسة في الدماغ من حيّز مجرد كونها فكرة إلى عمل بدني فعّال ونشاط يظهر أثره المفيد للمجتمع؛ فالدافعية ما هي إلا طاقة انفعالية تتحول إلى نشاط ملموس[36].

إن من أخطر ما يعانيه الدعاة في عصرنا هو (الفتور الدعوي) واللامبالاة بحاجات الناس والحرص على علاجهم من أدوائهم، وكم حري بهم الاقتداء بأولئك الدعاة الذين كانوا (يسعون) لنصح الناس وحثهم على اتباع الحق!

عاشراً: إيجابية الدعاة في قصة قارون

الإيجابي متوازن في شخصيته، غير منعزل عن الاستفادة من متاع الدنيا وأسبابها، بل إنه يجعل من امتلاكها وسيلة تفيد مهمته الجليلة (عمارة الكون بطاعة الله تعالى).

تأمل ماذا قال الدعاة لقارون: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا" [القصص: 76]. جاءت هذه القصة من أجل أن "تقرر حقيقة القيم، فترخص من قيمة المال والزينة إلى جانب قيمة الإيمان والصلاح مع الاعتدال والتوازن في الاستمتاع بطيبات الحياة دون علو في الأرض ولا فساد...

وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم. المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة. بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفا، كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها.

ولقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتجدد، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض. ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة، فلا ينحرفون عن طريقها، ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها. والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم، وتقبل لعطاياه، وانتفاع بها. فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها الله بالحسنى.

وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق في حياة الإنسان، ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة، التي لا حرمان فيها، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة"[37].

حادي عشر: الإيجابية التي أوصى بها لقمانُ الحكيم ابنَه

الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية والصبر على البلاء خير ما يميز الشخصية الدعوية الإيجابية لا بد وأن تتعرض لأذى بعض المخالفين، لذا كانت وصية الداعية لقمان الحكيم لابنه: "يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" [لقمان: 17].

فلماذا حثه على الصبر مباشرة بعد حثه على دعوة الناس إلى الخير؟

جوابه: "لأن الداعي إلى الحق معرّض لإيصال الأذى إليه"[38] لقد حث لقمان ابنه على القيام بواجب الدعوة بجناحيها (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ثم حثه على "الصبر على ما يصيب الداعية إلى الله، من التواء النفوس وعنادها، وانحراف القلوب وإعراضها. ومن الأذى تمتد به الألسنة وتمتد به الأيدي. ومن الابتلاء في المال والابتلاء في النفس عند الاقتضاء"[39].

إنَّ الصبر خلق رفيع جليل، به سيُستدعَى النصر الرباني، وبه سينال الداعية مراده. والداعية الناجح صبور لا ييأس من حث الناس إلى الخير، قد يُخفق في التأثير عليهم مرة، لكن لا بدَّ أن يعاود الطرق مرات ومرات حتى إذا صبرَ فلا بدَّ أن تفتَّح له أبواب القلوب الموصدة؛ فما النصر إلا صبر ساعة.

ثاني عشر: إيجابية الرجل الداعية في سورة يس

الداعية الإيجابي هدفه الرئيس رضا الله تبارك وتعالى، فلا يجعل من الدنيا محطته الأولى والأخيرة التي يبني عليها علاقته مع الناس والحياة والكون، الدنيا أحقر من أن يُخاصِمَ لأجلِها، لذا فإنه محبٌّ للخير للناس لكل الناس، حتى الذين يؤذونه منهم.

بعد أن مات الداعية الذي جاء من أقصى المدينة يسعى لحث أهل القرية على اتباع المرسلين، قال: "يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ" [يس: 26-27].

تكريماً لهذا الرجل الداعية الإيجابي دخل الجنة "فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره قال: ليت قومي يعلمون بما أنا فيه من نعيم، وخير عميم، لإيماني بربي وتصديقي برسله وصبري على أذى قومي، وإنما تمنى علم قومه بحاله، ليحملهم ذلك على اكتساب المثوبة مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في حظيرة الإيمان والطاعة اتباعا لسنن أولياء الله الذين يكظمون الغيظ ويترحمون على الأعداء"[(40)].

وهنا ارتاح هذا الداعية الإيجابي بعد سَعيهِ في الدنيا وجِدِّه واجتهاده لخير قومه، فلا يضره لو لم يؤمن به أحد، ولو لم يذكر اسمه أحد، فيكفيه الراحة الأبدية في مقعد صدق عند مليك مقتدر وأكرم بها من منزلة!

والأعجب من هذا أنه لم تدهشه عظمة الجنة وملذاتها ونعيمها عن محبة الخير لقومه، فياله من ناصحٍ محبٍّ لقومه في حياته وبعدَ مماته!

ثالث عشر: إيجابية مؤمن آل فرعون

فرق بين إيجابية الحكيم وتهوُّر المندفع، فمن الحكمة أن لا يُعلن الداعية أحياناً عن موقفه من الحق بصفته من أتباعه؛ ليعطي انطباعاً بأن حكمه موضوعي منزه عن التعصب للفئة التي ينتمي إليها.

حين دعا موسى عليه السلام فرعون إلى الحق، كان في المجلس شخص تدخَّل مؤيِّداً الحق الذي ينادي به موسى عليه السلام، قال تعالى: "وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ" [غافر: 28].

"وكتمان الإيمان هنا، ليس عن ضعف أو خوف، حتى يحمل إيمانه على أنه كان مجرد إعجاب بموسى، وميل إلى الطريق الذي هو عليه... فإن إيمان هذا المؤمن كان إيماناً راسخاً وثيقاً، قائماً على اقتناع بلغ مبلغ اليقين القاطع، وإنما كان كتمان هذا الإيمان عن سياسة حكيمة، وتدبير محكم...

فالرجل لم يكن يريد الإيمان لنفسه وحسب، بل إنه كان يريد أن يكون داعية لفرعون وقومه جميعاً إلى الإيمان بالله... ولو أنه أعلن إيمانه، وجاء إلى فرعون يدعوه إلى أن يؤمن كما آمن هو، لما استمع فرعون إلى كلمة منه، ولأخذته العزّة بالإثم، وأبى عليه كبره وعناده، أن ينقاد لداعية يدعوه إلى أي أمر، ولو فتح له أبواب السماء"[(41)].

ولكن الإيجابية معناها أن لا يستمر في كتمان الحق والخير إلى حين وفاته، بل يستغل الفرصة المناسبة للصدع بالحق إذا وجد الفرصة سانحة.

وبهذا ينتهي هذا المبحث الذي تناول الحديث عن أبرز معالم الشخصية الإيجابية لكل داعية من الدعاة- من غير الأنبياء- المذكورين في القرآن الكريم، ومن الممكن تلخيص المستفاد من قصص أولئك الدعاة فيما يختص بمعالم شخصيتهم الإيجابية بحسب الجدول (2) الآتي:

الجدول (2)
أبرز معالم الشخصية الدعوية المستفادة من قصص الدعاة في القرآن الكريم

القصة	أبرز المعالم الشخصية الإيجابية المستنبطة
1. القائد الداعية طالوت	العناية بقوة العلم والجسم
2. الدعاة في قصة أصحاب السبت	عدم ربط الاستمرار في العمل الدعوي بثمرته الدنيوية
3. الفتية (أصحاب الكهف)	التلطف
4. الداعية مع صاحب الجنتين	تقديم البديل الصالح
5. العبد الصالح في رحلته مع سيدنا موسى عليه السلام	مراعاة فقه الموازنات
6. ذو القرنين	إعطاء المدعو أفضل مما يطلب
7. النملة	تقديم مصلحة المجتمع على مصلحته الفردية
8. الهدهد	عدم اقتصار العمل الدعوي على الأعمال الروتينية
9. الرجل الذي سعى لتحذير سيدنا موسى عليه السلام	الدافعية والمغامرة
10. الدعاة في قصة قارون	الاستفادة من نواميس الكون الدنيوية لما يفيد الدعوة
11. لقمان الحكيم	الصبر على تحمل أعباء الدعوة
12. الرجل الداعية في سورة يس	الحرص على منفعة المدعو حتى لو آذاه
13. مؤمن آل فرعون	الحكمة في استثمار الوقت المناسب للجهر بالدعوة

الخاتمة

بعد هذه الجولة في أبرز معالم إيجابية الدعاة إلى الحق كما صوّرهم القرآن الكريم تبيّنَ للباحث هذه النتائج:

أ. المقصود بالشخصية الإيجابية: هي تلك الشخصية التي تعمل بدرجة عالية من الفعالية الفكرية والشعورية والنفسية، فتترتب عليها وضعية حسنة من الطمأنينة والارتياح، إلى جانب وضعية جيدة من الالتزام والإنتاجية الممتازة؛ بالإضافة إلى نجاح جيد في العلاقات الاجتماعية.

ب. للشخصية الإيجابية ركنان: الاستقامة والدافعية.

ج. المقصود بالداعية: كلُّ مَن يحرص على أن يُبلغ الخير للناس، والذي يُعلمهم إياه، وينشط في العمل على تطبيقه في واقع الحياة.

د. أخبرنا القرآن الكريم عن دعاة إلى الخير– من غير الأنبياء– يستطيع الإنسان الاستفادة من معالمهم الشخصية كثيراً مما يفيد الدعاة المعاصرين، ومن أبرز أولئك الدعاة: القائد الداعية طالوت، الدعاة في قصة أصحاب السبت، أصحاب الكهف، الداعية مع صاحب الجنتين، العبد الصالح في رحلته مع سيدنا موسى عليه السلام، ذو القرنين، النملة، الهدهد، الرجل الذي سعى لتحذير سيدنا موسى عليه السلام، الدعاة في قصة قارون، لقمان الحكيم، الرجل الداعية في سورة يس، مؤمن آل فرعون.

هـ. من أبرز معالم الشخصية الإيجابية للدعاة المستنبطة من قصص أولئك الدعاة:

1. العناية بقوة العلم والجسم.
2. عدم ربط الاستمرار في العمل الدعوي بثمرته الدنيوية.
3. التلطف.
4. تقديم البديل الصالح.
5. مراعاة فقه الموازنات.
6. إعطاء المدعو أفضل مما يطلب.
7. تقديم مصلحة المجتمع على مصلحته الفردية.
8. عدم اقتصار العمل الدعوي على الأعمال الروتينية التقليدية.
9. الدافعية والمغامرة.
10. الاستفادة من نواميس الكون الدنيوية ومتاعه لما يفيد الدعوة.
11. الصبر على تحمل أعباء الدعوة.
12. الحرص على منفعة المدعو حتى لو آذاه.
13. الحكمة في استثمار الوقت المناسب للجهر بالدعوة.
14. التعلم والتدريب قبل الشروع في العمل الدعوي.

التوصيات: يوصي الباحث بمزيد من العناية بقصص الدعاة من غير الأنبياء كما عرضها القرآن الكريم، والاستفادة منها لاستنباط مزيد من معالم سماتهم الشخصية مما يفيد الدعاة المعاصرين.

الهوامش

(1) قال البيضاوي: لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله، أنظر: البيضاوي، ع. (1418هـ)، مدارك التنزيل، ط1 بيروت: دار إحياء التراث العربي،ج 3/ ص235.

(2) قال البيضاوي: ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل. أنظر: المصدر السابق، 235/3.

(3) أنظر: الجوهري، إ. (1987م) الصحاح، ط4 بيروت: دار العلم للملايين1ج/ ص 253 (وجب). والزبيدي، م. (1994م) تاج العروس، ط1 بيروت: دار الفكر ج 4/ ص333 (وجب).

(4) أنظر: الأزهري، م. (2001م) تهذيب اللغة، ط1 بيروت: دار إحياء التراث العربي ج4/ ص58 (وجب).

(5) ابن عباد، إ. (1994م) المحيط في اللغة، ط1 بيروت: دار عالم الكتب ج2/ ص143 (وجب).

(6) أبو حبيب، سعدي، (1982م) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط1 بيروت: دار الفكر، ص372.

(7) الهرري، م. (2001م) تفسير حدائق الروح والريحان، ط1 بيروت: دار طوق النجاة، ج 18/ ص343.

(8) الجيلاني، ي. (د.ت)، القاموس الجديد الألفبائي، ط1 تونس: دار الأطلسية، ص113.

(9) البقري، أ. (1980م) العمل والقيم الخلقية في الإسلام، ط1 الإسكندرية: المكتب الجامعي، ص157.

(10) طعيمة، ص. (1981م) الإسلام وعالمنا المعاصر، ط1 الرياض: مكتبة المعارف، ص73.

(11) حسنة، ع. (1983م) فهجرته إلى ما هاجر إليه، مجلة الأمة، الدوحة: مجلة الأمة، عدد 27، كانون الثاني، سنة3، ص5.

(12) بكار، ع. (2010م) مقومات الشخصية الإيجابية، لندن: مجلة البيان، عدد 204، ص6.

(13) المرجع ذاته، ص6.

(14) أنظر: ابن منظور، م. (1980م) لسان العرب، ط1 بيروت: دار صادر ج14/ ص257-262.

(15) ابن فارس، أ. (1991م) معجم مقاييس اللغة، ط1 بيروت: دار الجيل ج2 / ص279.
(16) أنيس، إ. (1409هـ) المعجم الوسيط، ط1 الدوحة: دار إحياء التراث الإسلامي ج 1/ ص286.
(17) أنظر: العمار، ح. (1997م) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ط1 الرياض: مركز الدراسات والإعلام، ص21-24.
(18) البيانوني، م. (1996م) مدخل إلى علم الدعوة، ط2 بيروت: مؤسسة الرسالة، ص17.
(19) رواه البخاري في كتاب الشركة باب هل يقرع في القسمة؟ برقم (2493).
(20) المروزي، ع. (د.ت) الزهد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، ص475.
(21) أنظر: الخالدي، ص. (2007) القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، ط1 دمشق: الدار الشامية، ص27.
(22) رضا، م. (1999م) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية ج2/ ص379.
(23) القطان، إ. (د.ت) تيسير التفسير (د.ط) الناشر: المؤلف ذاته ج 2/ ص85.
(24) أنظر: الماتريدي، م. (2005م) تأويلات أهل السنة، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية ج 7/ ص152.
(25) ابن القيم، م. (1991م) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية ج 4/ ص122.
(26) عبدالرحمن، ع. (1421هـ) دعوة الجماهير، سلسلة كتاب الأمة، عدد 76، سنة 20، الدوحة، ربيع الأول، ص127.
(27) القرطبي، م. (1994م) الجامع لأحكام القرآن، ط1 القاهرة: دار الحديث ج 11/ ص36.
(28) قال الشعراوي: "ومن العجيب أن القرآن عندما يحكي أمراً فهو لا يحكيه إلا لهدف، هم طلبوا من ذي القرنين أن يبني سدّاً لكنه اقترح أن يجعل لهم رَدماً، ما الفرق؟ لقد تبين من العلم الحديث أن السَدّ قد تحدث له هزّة من أي جانب فينهدم كله، أما الرّدْم فإن حدثت له هزّة يزددْ تماسكاً. أنظر: الشعراوي، م. (1991م) تفسير الشعراوي، ط1 القاهرة: دار أخبار اليوم ج 5/ ص3118.
(29) أنظر: ابن عاشور، م. (1984م) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد (المشهور بالتحرير والتنوير)، ط1 تونس، الدار التونسية ج 16/ ص34.
(30) رواه أحمد (8413) عن أبي هريرة ﷺ، قال شعيب الأرناؤوط في تخريجه للمسند ج14/ص136: إسناده حسن.
(31) أنظر: سلطان، ص. (2008م)، سورة الكهف: منهجيات في الإصلاح والتغيير، ط1 القاهرة: دار صلاح للنشر، ص62.
(32) ابن القيم، م. (1991م) مفتاح دار السعادة، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية ج 2/ ص22.
(33) الشعراوي، م. (1991م) تفسير الشعراوي، ط1 القاهرة: دار أخبار اليوم ج17/ ص10687.
(34) المرجع ذاته ج17/ ص10687.
(35) يُقصَد بالدافع- بمعناه الشامل-: مجموعة القوى الداخلية والخارجية النشيطة المحّركة للسلوك، فيجمع كافة العناصر والقوى الفطرية والمكتسبة المحركة للسلوك؛ من حاجات، ورغبات، وميول، واتجاهات، وانفعالات، وعواطف، وقيم، وعادات، وحوافز، وبواعث، وأغراض، وأهداف. أنظر: الشيباني، ع. (2001م) علم النفس التربوي، ط1 ليبيا: جامعة الفاتح، ص98.
(36) أنظر: رجب، م. (2011م) دور المعلم وآليات عمله، لندن: مجلة البيان، عدد 228 ص9.
(37) قطب، س. (1981م) في ظلال القرآن، ط10 القاهرة: دار الشروق ج 5/ ص2170.
(38) القاسمي، ج. (1994م) محاسن التأويل، ط1 بيروت: دار إحياء التراث العربي ج 8 / ص31.
(39) قطب، س. (1981م) في ظلال القرآن، ط10، القاهرة: دار الشروق، ج5/ ص2790.
(40) المراغي، أ. (1946م) تفسير المراغي، ط1، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ج22/ ص154.
(41) الخطيب، ع. (1390هـ) التفسير القرآني للقرآن، ط1، بيروت: دار الفكر العربي، ج 12/ ص1226.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن القيم، م. (1991م) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن القيم، م. (1991م) مفتاح دار السعادة، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عاشور، م. (1984م) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد (المشهور بالتحرير والتنوير)، ط1 تونس، الدار التونسية.

ابن عباد، إ. (1994م) المحيط في اللغة، ط1 بيروت: دار عالم الكتب.

ابن فارس، أ. (1991م) معجم مقاييس اللغة، ط1 بيروت: دار الجيل.

ابن منظور، م. (1980م) لسان العرب، ط1 بيروت: دار صادر.

أبو حبيب، سعدي، (1982م) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط1

بيروت: دار الفكر.
الأزهري، م. (2001م) تهذيب اللغة، ط1 بيروت: دار إحياء التراث العربي.
أنيس، إ. (1409هـ) المعجم الوسيط، ط1 الدوحة: دار إحياء التراث الإسلامي.
البقري، أ. (1980م) العمل والقيم الخلقية في الإسلام، ط1 الإسكندرية: المكتب الجامعي.
بكار، ع. (2010م) مقومات الشخصية الإيجابية، لندن: مجلة البيان، عدد 204.
البيانوني، م. (1996م) مدخل إلى علم الدعوة، ط2 بيروت: مؤسسة الرسالة.
البيضاوي، ع. (1418هـ)، مدارك التنزيل، ط1 بيروت: دار إحياء التراث العربي.
الجوهري، إ. (1987م) الصحاح، ط4 بيروت: دار العلم للملايين.
الجيلاني، ي. (د.ت)، القاموس الجديد الألفبائي، ط1 تونس: دار الأطلسية.
حسنة، ع. (1983م) فهجرته إلى ما هاجر إليه، مجلة الأمة، الدوحة: مجلة الأمة، عدد 27، كانون الثاني، سنة 3.
الخالدي، ص. (2007) القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، ط1 دمشق: الدار الشامية.
الخطيب، ع. (1390هـ) التفسير القرآني للقرآن، ط1 بيروت: دار الفكر العربي.
رجب، م. (2011م) دور المعلم وآليات عمله، لندن: مجلة البيان، عدد 228.
رضا، م. (1999م) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية.
الزبيدي، م. (1994م) تاج العروس، ط1 بيروت: دار الفكر.
سلطان، ص. (2008م)، سورة الكهف: منهجيات في الإصلاح والتغيير، ط1 القاهرة: دار صلاح للنشر.
الشعراوي، م. (1991م) تفسير الشعراوي، ط1 القاهرة: دار أخبار اليوم.
الشيباني، ع. (2001م) علم النفس التربوي، ط1 ليبيا: جامعة الفاتح.
طعيمة، ص. (1981م) الإسلام وعالمنا المعاصر، ط1 الرياض: مكتبة المعارف.
عبدالرحمن، ع. (1421هـ) دعوة الجماهير، سلسلة كتاب الأمة، عدد 76، سنة 20، الدوحة، ربيع الأول.
العمار، ح. (1997م) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ط1 الرياض: مركز الدراسات والإعلام.
القاسمي، ج. (1994م) محاسن التأويل، ط1 بيروت: دار إحياء التراث العربي.
القرطبي، م. (1994م) الجامع لأحكام القرآن، ط1 القاهرة: دار الحديث.
القطان، إ. (د.ت) تيسير التفسير (د.ط) الناشر: المؤلف ذاته.
قطب، س. (1981م) في ظلال القرآن، ط10 القاهرة: دار الشروق.
الماتريدي، م. (2005م) تأويلات أهل السنة، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية.
المراغي، أ. (1946م) تفسير المراغي، ط1 القاهرة: مطبعة البابي الحلبي.
المروزي، ع. (د.ت) الزهد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية.
الهرري، م. (2001م) تفسير حدائق الروح والريحان، ط1 بيروت: دار طوق النجاة.

Aspects of the Positive Personal Qualities of Preachers, but not Prophets, in the Holy Qur'an

Abdul Rahim KhairAllah El Sharif *

ABSTRACT

In our time, many reformist preachers tend to tranquillity and passivity and indifference to what is going on around them, and they do not interact with, and here came this research to highlight the role models cited the Koran in the context of praise and appreciation. These role models were not prophets who are enlightened by revelation, and thus, not immune of wrong deeds; but they are preachers of human beings are like all ordinary human beings in all their attributes and their conditions.

So; this research comes into two parts: the first involves a theoretical account that talks about preaching (alda'wah) and its importance. Then, the second part that involves a practical account that presents the most prominent positive personal qualities of preachers as stated by the Qur'an..

Keywords: Positivism, Qur'anic Story, The Holy Qur'an, preachers.

* Faculty of Sharia, Zarqa University, Jordan. Received on 28/5/2016 and Accepted for Publication on 23/8/2016.